جامعة شيخ أنتا جوب بدكار

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

كلية علوم وتقنيات التربية والتكوين

المعهد الأساسي لإفريقيا السوداء

مجلّة الدّراسات العربيّة والإسلاميّة

مجلة علمية محكّمة تصدر عن
جامعة شيخ أنتا جوب بدكار ~ السّنغال

السّنة الثالثة | العدد الثّالث

ديسمبر 2025

الإيداع القانوني: ISSN 2772-2252

إدارة المجلّة

المدير المسؤول

علي بدرا كانجي

رئيس جامعة شيخ أنتا جوب بدكار

منسّق التحرير

د. عثمان انجوغو تياو

اللجنة الإدارية

د. أبابكر جوب

د. شيخ صمب

د. مصطفى لي

د. جيم درامي

الهيئة العلميّة

أ. د. أبوبكر الذهبي – لبنان

أ. د. أحمد عبد الكافي–الإمارات العربية المتحدة

أ. د. إلياس قويسيم – تونس

أ. د. جيم درامي – السنغال

أ. د. حسن بشير – السودان

أ. د. خالد الكندي – عمان

أ. د. سيدو خما – السنغال

أ. د. شيخ صمب – السنغال

أ. د. صالح انجاي – السّنغال

أ. د. عبد الرحيم برواكي– المغرب

أ. د. عثمان انجوغو تياو – السنغال

أ. د. لقمان يلماز – تركيا

أ. د. محمد مزياني – الجزائر

أ. دة. خلود النازل – العربيّة السّعوديّة

أ. دة. سهيلة سلطاني، الجزائر

أ. دة. عبادة هلال – الأردن

أ. دة. فاطمة سلامة – المغرب

أ. دة. نادية بن العزمية – المغرب

أ. دة. هناء علي – سوريا

الهيئة الاستشاريّة

أ. د. حسن حمزة – فرنسا / قطر

أ. د. حسين تال – السنغال

أ. د. خديم امباكي – السنغال

أ. د. مختار انجاي – السّنغال

أ. د. عليّ بدرا جاني – السّنغال

أ. د. ماغي انجاي – السّنغال

أ. د. مصطفى سوخنا – السّنغال

أ. د. محمد بونا تيميرا – السّنغال

أ. د. يعقوب سيدي – السنغال

أ. دة. آمنة انيانغ جين – السّنغال

أ. د. عبد الستار الهيتي – البحرين

أ. د. أحمد تيجاني جالو – السّنغال

أ. د. قاسم جاخاتي – السنغال

أهداف المجلّة

1. توحيد كلمة الجهات المتخصّصة باللّغة العربية في جامعة دكار خاصّة بأقسامها المختلفة، وتصنيف أعمال الدّارسين والباحثين في الجامعات والمؤسّسات السنغالية عامّة بفروعها العربيّة.
2. نشر الأبحاث العلميّة المحكّمة في اللّغة العربيّة وعلومها وآدابها، وفي الدّراسات الإسلاميّة والحضارة، وفي علوم التّربية ومناهج التّعليم.
3. تمثيل المجلّة مرآة للثّقافة العربيّة الإسلاميّة في غرب إفريقيا ورمزا للعلاقات الجامعيّة بين السّنغال والعالم العربيّ فما وراءه في سبيل التّعاون والتّبادل المشترك.

قواعد النّشر

ترحّب المجلّة بمشاركة الكتّاب الباحثين المتخصّصين، وتقوم بنشر الدّراسات الأصيلة والبحوث الرّصينة، وفقا لقواعد التسليم الآتية:

1. أن يكون البحث مبتكَرا أصيلا لم يُنشرْ سابقًا.
2. ألاّ يتجاوز عدد صفحات البحث 15.
3. أن يلتزم الباحث في كتابة النّص بخطّ (Traditional Arabic) بكثافة 16 في المتن و 12 في الهامش.
4. الهوامش في نهاية الصّفحة: اسم المؤلف، عنوان الكتاب، رقم الطّبعة، مكان النشر، دار النّشر، تاريخ النشر، الصّفحة.
5. المصادر والمراجع في نهاية المقال: اسم المؤلف (اللّقب أولا)، عنوان الكتاب، رقم الطّبعة، مكان النشر، دار النّشر، تاريخ النشر.

6. أن يكون البحث متّسما بالعمق والأصالة وموثَّقا بالمصادر والمراجع، وفق أصول البحث العلميّ المتداوَلة.

7. تخضع المادّة المقدّمة للنّشر للتّحكيم العلميّ على نحو سرّيّ، وتعاد إلى الباحث عند حاجة إجراء التّعديلات اللاّزمة.

8. يمكن للباحث أن يكتب مقالته بالعربيّة أو الفرنسيّة مع تلخيص بإحدى اللّغتين.

9. البحوث المنشورة لا تعبّر عن رأي الجهة النّاشرة.

البريد الإلكتروني للمجلّة:

revue.rais@ucad.edu.sn

فهرس الموضوعات

تقديم	09
حوار المرأة في القرآن وأساليب الإقناع فيه	11
دة. بشرى عبد المجيد تاكفراست، كلّيّة اللّغة العربيّة، جامعة القاضي عياض، مراكش، المغرب	
Le dialogue des femmes dans le Coran et les méthodes de persuasion qu'il contient Bouchra TAKAFRAST, Faculté de Langue Arabe, Université Cadi Ayad de Marrakech, Maroc	
دلالات لفظ "الولي": دراسة في معاجم اللغة وكتب التّفاسير والأعمال الصّوفية..	67
ذ. خادم امباكي شيخنا، جامعة ابن خلدون، إسطنبول، تركيا	
Les significations du terme « *Wali* » : Étude dans les dictionnaires, les livres d'exégèse et les ouvrages soufis Cheikhouna Khadim MBACKÉ, Université Ibn Khaldoun, Istanbul, Turquie	
إسهام كتاب "فتح الباري" لابن حجر العسقلاني في التعريف بصحيح البخاري وفي التنويه به مع الرد على منتقديه	109
د. قاسم جخاتي، قسم اللغة العربية، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة شيخ أنتا جوب بدكار، السّنغال	
La contribution du livre « Fatḥ Al-Bârî » d'Ibn Hajar Al-'Asqalânî dans la présentation et la promotion du *Ṣahih* Al-Bukhari, avec réponse à ses critiques Khassim DIAKHATÉ, Faculté des Lettres et Sciences Humaines, Université Cheikh Anta Diop de Dakar, Sénégal	
الوطن في شعر نزار قباني	147
ذة. ألي انجاي – أ.د. عثمان انجوغو تياو، جامعة شيخ أنتا جوب بدكار، السّنغال	
La *patrie* dans la poésie de Nizar Qabbani Oulèye NDIAYE - Ousmane Ndiogou THIAW, Université Cheikh Anta Diop de Dakar, Sénégal	

193	**كتاب "ألف ليلة وليلة" بين التأثر والتأثير** ..... **د. مطهر يوسف بن ناصر، مؤسسة خبير للاستشارات التربوية، كنو – نيجيريا** **Le livre « Les Mille et Une Nuits » entre influence et impact** Mutahir Yusuf Naasir, Fondation *Khabîr* pour le conseil pédagogique, Kano, Nigéria
219	**أثر اللُّغة العربيَّة في الحفاظ على الثَّقافة الإسلاميَّة في السّنغال** ..... **د. أحمد سيك، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة شيخ أنتا جوب بدكار، السنغال** **L'influence de la langue arabe dans la préservation de la culture islamique au Sénégal** Ameth SECK, Faculté des Lettres et Sciences Humaines, Université Cheikh Anta Diop de Dakar, Sénégal
253	**تدريس القواعد العربية في مناهج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها: صعوبات وحلول.** **د. شيخ صمب، كلية علوم وتكنولوجيا التربية والتكوين، جامعة شيخ أنتا جوب بدكار، السنغال** **Enseignement des règles arabes dans les programmes d'enseignement de la langue arabe aux locuteurs non-natifs : Difficultés et solutions** Cheikh SAMB, Faculté des Sciences et Technologies de l'Education et de la Formation, UCAD, Dakar / Sénégal
279	**الغيبة البحرية وأصداؤها الشعرية في قصائد الرعيل الأول من مريدي الشيخ أحمد بامبا** ..... **د. عبد الأحد لوح، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الشيخ أحمد الخديم / طوبى** ***L'exil maritime* et ses échos poétiques dans les poèmes de la première génération de disciples de Cheikh Ahmad Bamba** Abdoul Ahad LO, Faculté des Études islamiques et arabes, Université Cheikh Ahmadoul Khadim de Touba
309	**النبوة في قصيدة "أستودع الله ربي كعبة الله" للشيخ الحاج مالك سي التواوني (ت.1340هـ/1922م)** .....

	د. سيد جميل انيان، المعهد الأساسي لإفريقيا السوداء – إيفان، جامعة شيخ أنتا جوب بدكار **La *prophétie* dans le poème « Je confie à Dieu mon Seigneur, la Kaaba de Dieu » de Cheikh El Hadj Malick Sy de Tivaouane (1340 H/1922 J.-C.)** Seydi Diamil NIANE, Institut Fondamental d'Afrique Noire (IFAN), Université Cheikh Anta Diop de Dakar, Sénégal
335	**أثر الشعر الجاهلي في الشعر السنغالي العربي (الشيخ أحمد محمد جِيِيْ أنموذجا)**..... د. عمر الفاروق صو، جامعة منيسوتا، فرع السّنغال **L'influence de la poésie antéislamique sur la poésie sénégalaise d'expression arabe (L'exemple de Cheikh Ahmed Mouhamed DIEYE)** Oumar Farouh SOW, Université Minnesota, Section sénégalaise
357	**الشعراء السنغاليون ودعوتهم إلى العلم للنهوض بالمجتمع** ..... ذ. ممد آن، قسم اللغة العربية، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة شيخ أنتا جوب بدكار، السّنغال **Les poètes sénégalais et leur appel à la connaissance pour le progrès de la société** Mamadou HANN, Faculté des Lettres et Sciences Humaines, Université Cheikh Anta Diop de Dakar, Sénégal
391	**دينامية الاستعارة في توسيع آفاق المعنى: مقاربة تأويلية** ..... د. عبد الرحيم برواكي، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المغرب **La dynamique des métaphores dans l'élargissement des horizons du sens : Une approche herméneutique** Abderrahim BEROUAGUI, Université Moulay Ismaïl de Meknès, Maroc

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم، أفصح العرب والعجم، نبينا محمد بن عبد الله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

يسرّ أقسام اللغة العربية أن يقدّم للقراء والباحثين الكرام العدد الثالث من مجلة الدراسات العربية والإسلامية لجامعة شيخ أنتا جوب بدكار، هذه المجلة العلمية التي تسعى إلى الإسهام في ترسيخ البحث الأكاديمي الرصين في مجالات اللغة العربية وآدابها، والدراسات الإسلامية بمختلف فروعها.

ويأتي هذا العدد مواصلا المسار العلمي الذي انتهجته المجلة منذ صدور عددها الأول، حيث تحرص هيئة التحرير على نشر بحوث أصيلة محكَّمة تتسم بالجدّة والمنهجية العلمية، وتتناول قضايا لغوية وأدبية وفكرية وحضارية تسهم في إثراء المعرفة وتعزيز التواصل العلمي بين الباحثين في العالم العربي والإسلامي وخارجه.

وقد ضمّ هذا العدد مجموعة من الدراسات والبحوث التي أعدّها ثلّة من الباحثين المتخصصين من داخل السنغال وخارجها، تناولت موضوعات متنوعة في مجالات اللسانيات، والنقد الأدبي، والدراسات القرآنية والحديثية، والفكر الإسلامي، والفلسفة العامة، وغيرها من القضايا التي تعكس حيوية البحث العلمي في هذه الحقول المعرفية.

ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتقدم بخالص الشكر والتقدير للباحثين الذين أسهموا بأعمالهم العلمية في هذا العدد، كما نشكر السادة المحكّمين على جهودهم العلمية القيّمة، التي كان لها الأثر الكبير في الارتقاء بمستوى البحوث المنشورة، كما نتوجه بالشكر إلى إدارة الجامعة وكلياتنا المعنية لدعمهم إصدار هذه المجلة.

وإننا نأمل أن يسهم هذا العدد في خدمة البحث العلمي، وأن يكون إضافةً نافعةً للمكتبة العربية والإسلامية، ومنبرًا علميًا يجمع الباحثين ويعزز الحوار المعرفي الرصين.

والله نسأل التوفيق والسداد

المنسق

أ. د. عثمان انجوغو تياو

الغيبة البحرية وأصداؤها الشعرية في قصائد الرعيل الأول من مريدي الشيخ أحمد بامبا

الدكتور عبد الأحد لوح

عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الشيخ أحمد الخديم / طوبى

ملخص البحث:

إن النصوص الشعرية التي **نستعرضها** في هذه المقالة، بالإضافة إلى قيمها الأدبية، تُشكل وثيقة تاريخية تصور بقدر من الدقة والأمانة أهم معالم الغيبة البحرية للشيخ أحمد بامبا مباكي، من مبتدئها إلى منتهاها. ومما يعزز الطمأنينة والثقة بالمشاهد المصورة شعرا من الرحلة المباركة، أنها تتطابق في محتوياتها وتفاصيلها مع ما تقرر في المصادر النثرية التي عُنيت بتوثيق أحداث سيرة الشيخ أحمد بامبا. ولا يشك عاقل في أن هذه النصوص الشعرية تكتسي أهمية خاصة في البحث العلمي؛ لكونها صادرة ممن عاصروا الشيخ الخديم، وعايشوا أحداث حياته بمدها وجزرها. ومُحصلة ذلك كله

أن يعي الباحثون أن عليهم رد الاعتبار إلى النصوص الشعرية الأصيلة التي أبدعها - بالعربية أو بغيرها - جيل التأسيس من مريدي الشيخ وأحبابه، وذلك في كل مشروع فكري ينشدون إنجازه؛ لأن تلك النصوص في نهاية المطاف جزء لا يتجزأ من المصادر العلمية لكل باحث في حياة المريدية ومؤسسها.

الكلمات المفتاحية: الغيبة البحرية – المستعمرون – التصوير - المراحل – المنفى - المحن.

المقدمة

إن مراحل حياة الشيخ أحمد بامبا مباكي (1854 - 1927 م) كلها حافلة بمواقف الصمود و البسالة، وآيات الجهاد والتضحية؛ من أجل عبادة الخالق، ونفع الخلق وإرشادهم إلى ما فيه مصلحتهم وسعادتهم، غير أن مرحلة نفيه من قبل السلطة الاستعمارية الفرنسية إلى بلاد الغابون، ومكثه فيها ما يزيد على سبع سنين[1]، فيما اصطلح القوم على تسميته بالغيبة البحرية، هذه المرحلة

[1] – من 5 سبتمبر 1895م إلى 11 نوفمبر 1902م.

شكلت نقطة محورية في الدراسات المريدية فكرها وفلسفتها وأدبها.

ولئن كانت أقلام الكتاب والباحثين في تراث المريدية أكثر التصاقا بالأبعاد الروحية، والتاريخية، والاجتماعية في تلك المسيرة المظفرة، فإن مما يخفى على كثير من الناس، أن الكلمة الشاعرة عند المبدعين المريدين الذين عايشوا الأحداث، قد أدت دورا خالدا في تسجيل مشاهد الرحلة، ولقطات المسيرة من خلال الألفاظ والصور البلاغية، في أدق تفاصيلها؛ من منطَلَق الرحلة إلى عودة العبد الخديم إلى موطنه.

والواقع أن شعراء المريدية وأحبابها قد تواردت خواطرهم، وتوافقت بواعثهم - كل حسب طاقته الفنية - على مناصرة الشيخ بألسنتهم، بعد أن عجزوا عن تغيير الظلم الواقع عليه بأيديهم، بيد أن هناك أربع لحظات حاسمة استرعت أنظار أولئك الشعراء: لحظة المغادرة

والـوداع، ومحطـات الرحلـة المباركـة، و الابـتلاءات التـي تعرض لها، وعودته الميمونة إلى أرض الوطن[2].

أولا: المغادرة والوداع والتداعيات

فـي لغـة جمعـت بـين جـلال الموقـف والتجربـة، وبـين جمـال الرَّمْـز والأداء، رسَـم الشـاعر الشـيخ مختـار بنـت لـوح[3] لوحـةً شـعرية رائعـةً تـُمَثّل مَشـهَد مُغـادرة الشـيخ أحمـد بامبـا مبـاكي لِقريـة "مبـاكي بـاري"؛ اسـتِجابةً لاسْـتِدْعاءٍ مُلِـحٍّ من طَرَف الحاكم العام لمنطقة غرب أفريقيا.

ولقـد وُفـق الشـاعر فـي اختيـار رمـوز تُثِيـر جـوا مـن الـهَزَّة الوُجْدانيـة، شـفقةً وعطفـا وحنانـا. ومـا "زينـبُ" رمـزُ بطَـلِ الوقـائع والأحـداث إلا نمـوذجٌ واحـد مـن حُسْـن اختياراته. يقول الشاعر في مطلع القصيدة [4]:

هَـاجَ الْـجَوَى ذِكْـرُ الرَّحِيـلِ لِزَيْنَـبٍ ضَـحْوًا وَقَـدْ كَـانَ الْفِـرَاقُ بِمَحْـرَمِ

---

[2] - Cf. Abdoul Ahad Lo, La poésie arabe de la première génération des disciples de Cheikh Ahmadou Bamba Mbacké, étude descriptive et analytique, 1ère Ed, Dakar, L' harmattan Sénégal, 2021, PP. 297- 305.

[3]– ولد عام 1875م، وبايع الشـيخ الخديم في أوائل عام 1895م، و توفي سـنة 1949م. (راجع في سيرته: الشيخ مختار بنت : حياته وتراثه العلمي لهيئة إحياء تراث الشيخ مختار بنت لوح).

[4]– هيئة إحياء تراث الشـيخ مختار بنت لوح، الشـيخ مختار بنت لوح : حياته وتراثه العلمي، الطبعة الأولى، الرباط، دار المعارف الجديدة، 1442هـ– 2021م، ص 220.

أَزْمَـــانَ كَـــانَ لَنَـــا الْـــمَعِيشَةَ طَيِّبًـــا وَالْبُقْـعُ مِـنْ نَـوْرِ الْفَـرَا لَـمْ تُعْلَـمِ

وَالْـــجَوُّ قَـــرٌّ وَالْـــمَسَالِكُ أَمَّـــنٌ وَالْـــخِصْبُ بَـيْنَ مُقَـرَّبٍ وَمُصَـرَّمِ

وَأَنَـــارَتِ الْأَحْيَـــاءَ سَـــعْدُ سُـــعُودِهَا مِـــنْ أَسْـــوَدٍ أَوْ أَبْـــيَضٍ أَوْ آدَمِ

ولقد صور الشاعر في المشهد الافتتاحي الوقْعَ المُؤْلم المتَمثِّلَ في رحيل "زينب" فجأةً، وما كانتِ البيئةُ المكانيةُ والزمانيةُ تُوَفِّره آنذاك لـ"زينب" ولأهلِها من سعادة غامرة. ثم انتقلت بنا عدَسَةُ الشاعر لتصوير مشهد المُغادرة والوداع بألفاظ تكاد تنقل إلينا الصورةَ الحركية للوقائع والأحداث، من غير إغفال الجوانب النفسية :

وَلَقَـدْ شَـجَانِي قِيـلُ زَيْنَـبَ ضَـحْوَةً لِأَمَـــارِدٍ كُـــلٌّ شَـــدِيدُ الْـــمِحْزَمِ

سِـيرُوا أَمَـامِيَ وَالصَّـنَادِقَ لَا يَكُـنْ مِـنْ دِفْـنِسٍ[5] مِـنْكُمْ فَـلَا بَـلْ أَشْـهَمِ[6]

وَتَوَسَّـطَتْ أَعْلَـى كُمَيْـتٍ[7] قَـارِحٍ[8] تَـدْعُو الْـجَمِيعَ إِلَـى الْـوِدَاعِ الْـمُفْجِمِ

انظر كيف نقل الشاعرُ بألفاظه لقطةً تتألف من فِتيان يحمِلون صناديقَها، وشيئا من أمتعتها، يتقدمونها وهي تَمْتَطي فرَسا؛ لتتبادل مع الأهل عبارات "الوداع

---

[5]- **الدِّفنِس** بالكسر: الأحمق، [محمد بن مكرم بن على بن منظور، لسان العرب، الطبعة الثالثة، بيروت، دار صادر، 1414هـ، مادة: دفنس].

[6]- **الأشهم**: كالشهم، وهو: الذَّكِيُّ الفُؤاد المُتَوَقِّدُ الجَلْدُ، [المرجع السابق، مادة: شهم].

[7] **الكُميت**: من الكُمتة، وهي: لونٌ بين السَّوادِ والحُمْرة يكون في الخيل والإبل وغيرهما، [المرجع السابق، مادة: كمت].

[8]- **القارحُ**: من ذي الحافر بمنزلة البازل من الإبل، [المرجع السابق، مادة: قرح].

الـمُفْحِم"؛ وذلـك فـي جـو يَسـودُهُ الاضـطرابُ، والوجـومُ، والحيـرةُ، والصـمتُ الرهيـب. ومـن شـواهد ذلـك أن الشـيخ الخـديم خاطـب وكيلَـه فـي العيـالِ، أخـاه الشـيخ إبـراهيم فـاط مبـاكي[9] بهـذه العبـارات: "قـد التبسـت الأمـور، وتدنَّسـتْ تدنُّسًـا يحتـاج إلـى صـابون كبيـر، وقَصَّـار قـوي. قـرِّب لـي الفـرسَ. وأسـتودعكم الله الـذي لا تضـيع ودائعـه. عليـك بـالعلم والتعلـيم والحـرث، وإليـك الأهـلَ والعيـالَ. امكُـث هنـا مـا أمكـن، وإذا نبـا بـك فـارجِع إلـى بَـوَل، فركـب إليهم راضـيا بالقضـاء والقـدر مُلقِيـا زمامـه بيـد رب الأمـر والنهـي، متمسكا بكتاب الله وسنة رسوله."[10]

وهكـذا أُسْـدِل السـتار علـى مشـهد الـوداع الـذي أعقَبَتْـه فتـرةٌ مـن التَّحَيُّـر والاضـطراب، تَخَلَّلهـا تعتـيمُ قـرارِ المحاكمـة والنفـي الصـادر فـي حـق الشـيخ منـذ الخـامس مـن سـبتمبر 1895م:

---

[9] – هو أحد الإخوة الصغار للشيخ أحمد بامبا من أبيه، وأمين سره، وعضده الأيمن، وخليفته ومربي عياله ومريديه طيلة الغيبة البحرية. ولد عام 1866م، وتوفي سـنة 1943م، (انظر : الشـيخ محمد البشـير مباكي بن الشـيخ إبراهيم فاط، الشـيخ إبراهيم فاط في أيامه الخالدة، دراسـة وتحقيق أحمد مباكي مرتضـى شـيخ فاط فال، وعبد القدوس مباكي بشـير أنت، الطبعة الثالثة، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، 1443هـ/ 2022م).

[10] – الشـيخ محمد البشـير مباكي، منن الباقي القديم في سـيرة الشـيخ الخديم، تحقيق الدكتور محمد شقرون، الطبعة الأولى، الرباط، مطبعة دار المعارف الجديدة، 2012م، ص 78.

شَـهْرًا وَنَيْفًـا[11] ثُـمَّ دُمْنَـا خُلَّجًـا[12] وَالْأَمْـرُ عَنَّـا لَـمْ يَـزَلْ مِـنْ مُـبْهَمِ

ولقـد ظـل الاضـطرابُ سـيدَ الموقـف، والتعتـيم الإخبـاري يُخَـيِّم علـى الأهـل، إلـى أن تَنَـامى إلـى "آل زينـب" الخبرُ النحِسُ فجأة، وبدون مقدمات:

فَـإِذَا جَـلَا يَـوْم وَقَـدْ نَعَـبَ الْغُـرَا بُ اصْـغُوْا حَـدِيثًا مِـنْ نَصِـيحٍ أَعْلَـمِ

يَـا آلَ زَيْنَـبَ فَـاعْلَمُوا أَنْ قَـدْ أَجِـي ءَ بِأَنَّهَـا وَسَـطَ الْـمُحِيطِ الْعَـيْلَمِ

ولقـد نـزل خبـر النفـي والتغريـب علـى العيـال والمريـدين منزلـةَ الصـاعقة. وهـا هنـا يُوَظـف الشـاعرُ أحسـنَ آلات التصـوير؛ ليَضَـعَ يـدَ قارِئِـه علـى انكسـار النفـوس، وتَـوَتُّر القلـوب وأحزانهـا، بعـد وقـوع النبـأ الحـزين، وذلـك في صورتين تشبيهيتين بديعتين:

فَكَأَنَّنَـا فِـي قَعْـرِ جُـبٍّ[13] قَـاعِرٍ فِـي يَـوْمِ جَـوْزَاءٍ[14] وَلَيْـلٍ مُظْلِـمِ

وَنَصِـيرُ أَمْثَـالًا لِفَـرْخٍ فِـي مَـلًا[15] وَالْأُمُّ بَـيْنَ مَـخَالِبٍ لِلْعَشْـرَمِ[16]

---

[11]– يشير إلى أن إقامة الشيخ في ندر استغرقت شهرا وعشرة أيام، قبل رحلته البحرية.

[12]– **الخُلُج**: ربما يقصد الـخُلّج بتشديد اللام، وهُم التَّعِبُونَ، أو المرْتَعِدُو الأَبدانِ، [محمد بن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، مادة: خلج].

[13]– **الجبّ**: البئر غيرُ البَعيدةِ، أو القَلِيب الواسِعَةُ الشَّحْوةِ. [المرجع السابق، مادة: جبب].

[14]– يوم جوزاء: يوم طويل.

[15]– **الملا**: الفلاة والمتسع من الأرض.

[16]– العشرم: الأسد.

فـي الصـورة الأولـى: شـبه الشـاعر حـال المريـدين (وهـم آل زينـب) بعـد ترحيـل شـيخهم؛ بحـال مَـن وقـع فجـأة في بئر عميقة، في زمن نهارُه طويلٌ، وليلُه مظلمٌ.

وفـي الصـورة الثانيـة: شَـبَّه حالـَهم بحـال فُـروخ فـي فـلاةٍ، وقـد أُلْقِيَـتْ أمُّهـا بـين مخالـب الأسـد! وتلـك صـورةٌ دقيقـةٌ فـي وصـف حـال العبـد الخـديم بـين يـديْ جنـود السـلطاتِ الاسـتعمارية فـي المنفـى، وفـي وصـف أحبابِـه ومُريديـه، بعـد أن فارَقَهم، وقد كان لهم بـمَثابةِ الأم الرَّؤوم الحاضنةِ.

ولقـد أفصـح الشـاعر عـن فَحـوى ألغـازه الرَّمْزيـة فـي منتهـى قصـيدته، وأنـه يقصـد باسـم "زينـب" الشـيخ أحمـد بامبـا مبـاكي. وأنـه إنمـا لجـأ إلـى هـذا الاسـم، للدلالـة الرمزيـة، لا للدلالة الحقيقية. يقول في آخر بيتين من القصيدة:

لَفْظًـا وَلَا مَعْنًـى فَمَـا قَـوْلُ الْفَتَـى فِـي ابْـنِ الْكَـرِيمِ ابْـنِ الْكَـرِيمِ الْأَكْـرَمِ

هَـذَا عَنَيْـتُ بِقِيلَتِـي لَا تِلْـكَ أَو غَيْـرًا وَإِنْ نُسِـبَ الْـمَقَالُ لأغـتَم[17]

ثانيا: محطات الرحلة

اجتـاز الشـيخ أحمـد الخـديم فـي رحلتـه المفاجئـة، عـددا مـن المراحـل إلـى بـلاد الغـابون؛ مـا بـين قريـة مبـاكي

[17]– **الأَغتم**، مأخوذ من الغُتمة، وهي العجمة، ورجل أغتم وغَتِمِيٌّ لا يفصـح شـيئا، [المرجع السـابق، مادة: غتم].

بـاري[18] ومدينـة سـان لـوي، ومـا بـين مدينـة سـان لـوي ومدينة داكار، وما بين مدينة داكار وبلاد الغابون.

1- من مباكي باري إلى سان لوي

فـي هـذا المسـتوى مـن الرحلـة عُنـي الشـاعر الكبيـر الشـيخ إبـراهيم جـوب المشـعري[19] بتحديـد تـاريخ الرحلـة والأمـاكن التـي مـر بهـا الشـيخ فـي اتجـاه مقـر الحـاكم العـام. وفي ذلك يقول مخاطبا الشيخ:

خرجـت فـي السـبت فـي شـهر الربيـع ضـحى ب"جيسـش" و لـِ" جيـولْ"[20] جئـت ليـث رد

---

[18]– وتقع حاليا في مقاطعة "لينغير" بإقليم لوغا من السنغال.

[19]– ولد عام 1870م، وبايع الشيخ الخديم بعيد عودته من الغيبة البحرية في قرية السنوسي، ثم أصبح من أكابر شعراء الدعوة المريدية. توفي الشيخ إبراهيم جوب المشعري سنة 1933م. (انظر : Abdoul Ahad Lo, La poésie arabe de la première génération des disciples de Ch. Ahmadou Bamba Mbacké, 1ère Ed, Dakar, l'Harmattan Sénégal, 2021, p.74) .

[20]– قرية تقع بالقرب من بلدة تيامين في مقاطعة لوغا، وفيها قضـى الشـيخ نهار وليلة السبت الثامن عشر من صفر 1313هـ، ومنها ارتحل يوم الأحد 19 صفر 1313هـ بعد صلاة الصبح (انظر: الشيخ أحمد بامبا مباكي، جزاء الشكور العطوف في جواب عبد اللطيف، دراسة وتحقيق محمد المرتضى بوسو ومام مور مباكي حمدي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الأمان للطبع والنشر، 1444هـ- 2022م، ص 57. وانظر أيضا : الشيخ محمد الأمين جوب ، إرواء النديم من عذب حب الخديم، دراسة وتحقيق الرابطة الخديمية للدارسين والباحثين، الطبعة الأولى، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، 1439- 2017م، ص 120).

1.

ب"كـك" قِلْـتَ[21] وجئـت بعـد "لـوك"[22] وفـي سـفينة البـر قـد سـافرت ذا سـددد

وقـد أقمـت ب"انـدَرْ"[23]حينـا[24] تزيـل بهـا داء الضـلال مـنَ اهـل الشـك والفنـد [25]

وأول مـا يسـترعي الانتبـاه هـو أن الشـاعر المشـعري، توافـق مـع نظيـره الشـيخ مختـار بنـت فـي توقيـت الرحلـة، (ضـحى)، ومـع كافـة المـؤرخين فـي تعيـين يـوم الخـروج، (السـبت) وسـنته (جيسـش = 1313هـ)، إلا أن تفـرده ظـاهر فـي إعـلان شـهر غيـر معهـود لانطـلاق الرحلـة (فـي شـهر الربيـع)، مـع أن عامـة كتـاب سـير الشـيخ الخـديم يجمعـون علـى أن شـهر الخـروج هـو صـفر. فهـل هنـاك معنـى غيـر ظـاهر للربيـع؟ أم أن الشـاعر قـد تعمـد هـذه المخالفة للجمهور؟

---

[21]-- قرية الشيخ مختار ندومبي جوب، وفيها قضى الشيخ نهار الأحد 19 صفر 1313هـ إلى ما بعد صلاة العشاء (انظر: المرجع السابق، ص 58).

[22] – العاصمة الإدارية للإقليم وكان فيها مقر حاكم المديرية السياسية للمنطقة، وإليها سرى الشيخ قادما من قرية كوكي ليلة الأحد 19 صفر 1313هـ ووصل إليها قبيل فجر الاثنين 20 صفر 1313هـ، ثم قضى نهار الاثنين في تلك المدينة وأدى صلاة العصر في محطة القطار، فغادرها متوجها إلى مدينة ندر. (انظر: الشيخ أحمد بامبا مباكي، جزاء الشكور، مرجع سابق، ص 58 وما بعدها، وانظر أيضا: الشيخ محمد الأمين جوب، إرواء النديم، مرجع سابق، ص 126.

[23]– وصل الشيخ إلى ندر قبيل غروب شمس الاثنين 19 صفر 1313هـ (المرجع السابق، ص 127).

[24] – ولقد كانت الإقامة في ندر من الاثنين تاسع عشر صفر إلى اليوم الأخير من شهر ربيع الأول وكان يوم الخميس، أي لمدة شهر وعشرة أيام.

[25]– ديوان الشيخ إبراهيم جوب المشعري، تحقيق عبد القادر مباكي شيخ ميمونة وأبو مدين شعيب تياو، الطبعة الأولى، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، 1438هـ – 2017م، ص 128.

بتعميق النظر في دلالة "الربيع" في بعض المعاجم العربية يمكن تأويل معنى الربيع ليتطابق مع الشهر المتفق عليه بين الجمهور، وهو شهر صفر. جاء في معجم تاج العروس للزبيدي: "والربيعُ: جُزءٌ من أجزاءِ السَّنَة، وَهُوَ عِنْد العربِ رَبيعان: رَبيع الشُّهور، ورَبيعُ الأَزمِنَة. فرَبيعُ الشُّهُور: شَهْرَانِ بَعْدَ صَفَر.. وأمّا ربيعُ الأزمنةِ فرَبيعان: الرَّبيعُ الأوّل وَهُوَ الفَصلُ الَّذِي يَأْتِي فِيهِ النَّوْرُ والكَمْأَة، وَهُوَ رَبيعُ الكَلأ. والرَّبيعُ الثَّانِي، وَهُوَ الفصلُ الَّذِي تُدرِكُ فِيهِ الثِّمار...وكلُّهم مُجمِعونَ على أنّ الخريفَ هُوَ الرَّبيع"[26].

أضف إلى ذلك أن الربيع قد يحمل دلالة المطر والكلأ عند العرب. يقول الزبيدي: "المطَرُ عندَهم رَبيعٌ مَتى جاءَ[27].. وربّما سُمِّيَ الكَلأُ والغَيثُ رَبيعاً.[28].

ومن هذا المنظور اللغوي يمكن أن نجد للمشعري مخرجا يُسعفه مما بدا شذوذا من طَرَفه عن معلومات بديهية في تاريخ المريدية. فإذا كان قصدُ المشعري من

---

[26]– محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، الطبعة الثانية، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، 1407هـ – 1987م، ج 21، ص 33 وما بعدها.

[27]– المرجع السابق، ص 39.

[28]– المرجع السابق، ص 55.

"شـهر الربيـع" الزمـان الَّـذِي يَـأْتِي فِيـهِ النَّـوْرُ والكَمْـأَة، والكـلأ، فـإن ذلـك يمكـن أن يكـون تـأويلا يتوافـق مـع حالـة النباتـات فـي شـهر أغسـطس عـادة، وإن كـان قصـده مـن شـهر الربيـع زمـن الخريـف، فـإن لكلامـه وجهـا قويـا فـي اللغـة؛ لأن الخريـف ظـرف زمنـي يسـتوعب شـهر أغسـطس وغيـره مـن الأشهر.

أمـا إن كـان المشـعري يقصـد مـن شـهر الربيـع مـا تقـرر عنـد العـرب مـن أن المطَـر عنـدَهم رَبيـعٌ مَتـى جـاءَ، فـإن الزمـان الـذي تغـزر فيـه الأمطـار عنـدنا، هـو شـهر أغسـطس، شـهر خـروج الشـيخ أحمـد بامبـا مـن قريتـه مبـاكي باري.

فـي ضـوء هـذه التـأويلات والتحلـيلات اللغويـة يمكـن التسـليم للشـاعر الشـيخ إبـراهيم جـوب المشـعري بمـا ذهـب إليـه مـن تقريـر توقيـت خـروج الشـيخ إلـى المنفـى. ولا نظـن أبـد أن المشـعري كـان يتعمـد الاخـتلاف مـع مـا تقـرر عنـد عامـة البـاحثين والكتـاب المهتمـين بسـيرة الشـيخ الخـديم، ممن عاصروه.

وعـلاوة علـى ذلـك، عمـد المشـعري بعـد البيـت السـابق، إلـى رصـد الأمـاكن التـي حـل بهـا الشـيخ فـي طريقـه

إلـى سـان لـوي؛ بـدءا مـن مرتفعـات "جيـول" حيـث قابـل البعثـة العسـكرية الاسـتعمارية، ومـرورا بقريـة "كـوكي" منـزل الشـيخ مختـار نـدومبي جـوب الـذي وصـفه العبـد الخـديم فـي كتابـه (جـزاء الشـكور العطـوف فـي جـواب عبـد اللطيـف) بأنـه " كـان فـي زمنـه سـيّد كـلّ مـن كـان فـي أمّـة سـيّدنا محمّـد المختـار، فـي أرض الله تعـالى (كجـور)"[29] وبمدينـة لوغـا العاصـمة الإداريـة للمنطقـة، حيـث ركـب القطـار للتوجـه إلـى مدينـة "نـدر" (سـان لـوي). وهاهنـا يفيـدنا الشـاعر معلومـة تطـابق فيهـا مـع مـا ورد فـي مصـادر السـيرة الخديمية:

وقد أقمت ب "اندَر" حينا تزيل بهـا داء الضلال من اهل الشك والفند [30]

والحقيقـة أن الشـيخ أقـام فـي مدينـة نـدر بقيـة شـهر صـفر، وشـهر ربيـع الأول 1313هـ، قبـل أن تنفـذ السـلطة الاسـتعمارية قـرار الاعتقـال السياسـي الـذي كـان المجلـس الخـاص لمنطقـة غـرب أفريقيـا التابعـة لفرنسـا، قـد أصـدره فـي حقـه، بتـاريخ الخـامس مـن سـبتمبر 1895م، ممـا أدى إلـى نفيه وترحيله إلى الغابون.

[29]– الشيخ أحمد بامبا مباكي، جزاء الشكور العطوف في جواب عبد اللطيف، مرجع سابق، ص 58.
[30]– ديوان الشيخ إبراهيم جوب المشعري، مرجع سابق، ص.128.

وهنالك تواصل الشيخ مع ثلة من أجلاء مشايخ "ندر" وعلمائها ووجهائها، أولئك الذين تعاطفوا معه في محنته، وبذل بعضهم مساعي حميدة لدى المجلس الخاص؛ لمنع تنفيذ قراره بنفي هذا المتهم البريء.

2- من سان لوي إلى داكار:

بعد إقامة استغرقت شهرا وعشرة أيام في "ندر" قضاها الشيخ مكرما من قبل أحبابه في "ندر"، أصر المستعمر على قرار النفي الجائر، فإذا بالشيخ-كعادته - يرضى بما ابتلاه الله به من الترحيل والتغريب، كما وصفه الشيخ سيدي باب:

يرضى إذا جرت الأمور مسلما علما بأن إلهه أجراها [31]

وممن تواصل الشيخ معهم تواصلا روحيا فعالا في "ندر"، الشيخ مابيي نجاي[32] أحد العلماء المشهورين في ندر، وهو الذي يصف لنا فيما يلي مشهد وداعه مع الشيخ، متأثرا بالأسى والحزن:

---

[31] – الشيخ محمد الأمين جوب، مرجع سابق، ص 222.

[32]– من أجلاء العلماء في سان لوي، ولد عام 1847م، وتوفي سنة 1917م. انظر:
Abduls Ahad Lo, op.cit,p.80

إنـــي أوادع خـــلا مـــا أجالســـه إلا وزحـــزح عـــن قلبـــي بـــه الكســـل

إنـــي أوادع نـــدبا عالمـــا ورعـــا مـــن إن عـــددت شـــيوخ الجيـــل فـــالأول

إنـــي أوادع مـــن عينـــي تقـــر بـــه والقلـــب منشـــرح فليهنـــه الأمـــل

إنـــي أوادع حبـــا صـــادقا ولـــه فضـــائلٌ قـــد حباهـــا مـــن لـــه الأزل[33]

هـذه الأبيـات المـؤثرة يمكـن اعتبارهـا رسـالة تعبـر عـن أوضـح إشـارات التعـاطف مـع الشـيخ مـن قبـل نخبـة العلمـاء والمشـايخ فـي تلـك المدينـة العتيقـة، وتنطـوي علـى دلالات عميقـة فـي أخلاقيـات قومنـا، وفـي صـفاء قلـوبهم، ووحـدة صـفهم وتضـامنهم المطلـق مـع أحـد أركـان الـدين فـي هـذا البلد المعطاء.

وفـي السـياق ذاتـه يواصـل المشـعري وصـفه لمراحـل طريق المسير نحو داكار، قائلا:

ثـم ارتحلـتَ [34]جهـارا فـي سـفينتها تنحـو " انـدكارُ"[35] بـإذن المـؤمن الأبـد

---

[33] – ديوان الشـعراء السـنغاليين في مدح الشـيخ الخديم، طوبى، مطبعة ومكتبة الشـيخ الخديم، الطبعة الأولى، طوبى، مطبعة ومكتبة الشيخ الخديم، 1405هـ-1985م، ص 88.

[34]– كان الارتحال من ندر صـبيحة يوم الخميس التاسـع والعشـرين من ربيع الأول 1313هـــ، الموافق للتاسـع عشـر من سـبتمبر 1895م (انظر: الشـيخ أحمد بامبا مباكي، جزاء الشـكور، مرجع سـابق، ص 62، وانظر أيضا: الشيخ محمد الأمين جوب، إرواء النديم، مرجع سابق، ص 128).

[35]– وصل الشيخ إلى داكار في يوم الخميس المذكور قبيل غروب الشمس (المرجع السابق، ص 128)

وقد أقمت بها ما شاء ربك في حفظ المهيمن فردا بالنفوس فُدي[36]

هذه الرحلة التي ذكرها المشعري في أبياته، جرت وقائعها يوم الخميس التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول 1313هـ/ 19 سبتمبر 1885م؛ ووصل الشيخ إلى داكار في اليوم نفسه قبيل المغرب، وبات في مُعتقَله ليلة الخميس المذكور، ونُقل صبيحة الجمعة غرة ربيع الثاني 1313هـ إلى سفينة البحر، حيث قضى نهار يوم الجمعة وليلته، ولم تنطلق السفينة متجهة إلى الغابون إلا في يوم السبت الثاني من شهر ربيع الثاني 1313هـ/ 21 سبتمبر 1895م.[37]

3- من داكار إلى بلاد الغابون

لقد ركز الشعراء على وصف ممرات الرحلة البحرية من داكار إلى الغابون؛ فأول محطة هي كناكري، ثم "كَـرَمْبَسَ"، ثم "داوُمي"، ثم مدينة "لِيَبْرفِيلْ"، والمناطق الداخلية بالغابون مثل " كَبلُبِسْ":

ثم ارتحلتَ بإذن الله معتمدا عليه والقلب لم يشرك ولم يَحِدِ

[36]- ديوان الشيخ إبراهيم جوب المشعري، مرجع سابق، ص 128 وما بعدها
[37]- انظر: المرجع السابق، ص 13

وفي سـفينة بحـر قـد ولجـت كمـا ... يختـار مـولاك معطـي الأمـن والرَّغَـدِ

تلـك السـفينة لم يُـذكر إلهـك فيـ ... ـها قبـل ذكـرك في قـرب وفي بُعُـدِ

خـدمتَ فيهـا النـبيّ المصـطفى عَلَمـا ... بنـور فكـر عظـيم الفـيض مُتَّقِـد

حـتى حبـاك بمـا قـد فـاق ظنـك مـن ... فـتح وبشـر ورضـوان مـع السـدد

وقـد نزلـت بـلا ريـب "كُنـاكِرِ"[38] كَـيْ ... تمحـو المنـاكرَ يا مـن فـك كـل هَـدِي

وفي "كَـرَمْبَسَ "[39] قـد أبـديت خارقـة ... مـن الخـوارق تمحـو كلمـا ضَمَـد

فـأرض " داوُمِ"[40] مـعْ أرض "لِبَـرْوِلِ"[41] قـد ... دَرَت بأنـك غـوث الله في البلـد

أريْـتَ "بافِـلَ"[42] آياتٍ مُبَيَّنـةً ... بهـا اسـتنارَ الهـدى لكـل معتقِـد

و بالعـدُوّ كبـا طِـرْف المكيـدة إذ ... بِ"كَبْلَـبِسْ"[43] كـاد ذا كبـل بـلا عضـد

---

[38]– عاصمة دولة غينيا، وصلت إليها السفينة الناقلة للشيخ يوم انطلاقها من داكار، وهنالك دخل على الشيخ في السفينة رجل سالمي قدم له هدية، وقال له: إني سمعت بأنك تأتي في السفينة يراد بك نحو غابون؛ ولذلك أتيت لأزورك، وتدعو الله لي، وتوصيني. قال الشيخ ومن هذا الرجل سمعت اسم " غابون" وعلمت الجهة التي تراد بي..." (انظر: الشيخ محمد الأمين جوب، مرجع سابق، ص 132 وما بعدها).

[39]– Grand-Bassam وهي بلدة تقع على شاطئ قريب من مدينة أبيدجان بساحل العاج . (Cf. *www. Wikipédia.fr*).

[40]– التسمية السابقة لدولة بنين الحالية.

[41]– عاصمة دولة الغابون، وفيها أقام الشيخ مدة قصيرة قبل أن ينقل إلى جزيرة مايمبا (انظر: جزاء الشكور، ص 63، و إرواء النديم، ص 135)

[42]– إن قبيلة "بافيلي" قوم استوطنوا منطقة مايمبا في دولة الغابون، منذ عام 1888م. (Cf. www.Wikipédia.fr). وعند ذكر "بافلِ" يشير الشيخ أحمد بامبا إلى بلدة مايمبا التي أقام فيها خمس سنين، فالبلدة هي مايمبا والسكان هم "بافيلي" (انظر: الشيخ أحمد بامبا، جزاء الشكور، مرجع سابق، ص 63).

[43] Cap Lopez جزيرة في الغابون تقع على بعد بضعة كيلومترات من مدينة بور جانتي، وقد أقام بها الشيخ الخديم في طريقه إلى ما يمبا قادما من " ليبرفيل".

وعند "كلوى[44] أطال الله عمرك يا شمس الهدى فزت بالرضوان والمدد

وقد رجعتَ بما لم يرجعَنَّ به ذو الحج والغزو أو ذو التَّجْر من رَفَد[45]

إن هذا المقطع التصويري من السفر البحري قد أعاد رسم خارطة المسير من داكار إلى الغابون، بترتيب المراحل، من غير إغفال الجوانب التاريخية.

ويسهم شاعر اللغة الولفية المشهور الشيخ موسى كاه [46] في إبراز بعض معالم الرحلة، لكن من غير مراعاة ترتيب المراحل والمحطات:

كذاك "دكارُ" في بحر محيط يراه فتى هنالك عند "مبورُو[47]"

وسار إلى "كُناكرِ" ثم "كَلْوَى" وأهل" غَبُنْغْ" أتوه كمن يزور

وأهل " كَرَمْبَسَا" زاروا و" كُونغُو"[48] كذا بر وبحر أو بحور

---

[44]- كلوى les Galoas هم قوم من أهل الغابون يسكنون بالقرب من كاب لوبيز .(Cf. www. Wikipédia.fi). فالبلدة هي كاب لوبيز والسكان هم "كلوى".

[45]- ديوان الشيخ إبراهيم جوب المشعري، مرجع سابق، ص 129.

[46]- شاعر مريدي مشهور، تميز أداؤه في شعر اللغة الولفية، ولد عام 1891م، وتوفي سنة 1966م. (انظر:

Dr. Abdoul Ahad Lo, op. cit.p. 109).

[47]- مبُورْ: مدينة سياحية تقع على إحدى شواطئ المحيط الأطلسي، وهي العاصمة الإدارية لمقاطعة تابعة لإقليم تياس في السنغال.

[48]- يقصد بكونغو بلاد الغابون؛ ذلك أن الغابون والكونغو كانتا دولتين منفصلتين، لكن في سنة 1889م، ألحقت الغابون بالكونغو التابعة لفرنسا، فصارتا دولة واحدة، حتى إذا جاءت سنة 1910م، انفصلت الغابون من جديد عن الكونغو (انظر: الشيخ محمد البشير مباكي، منن الباقي القديم، مرجع سابق، هامش الصفحة 164).

أتـــى مـــن بحـــر "مـــا يُمْبـــا" لطـــوبى ويأتيـــه الـــبلاد معـــا يـــــــــدور[49]

وإلـى جانـب هـؤلاء أدلـى الشـيخ مـولاي علـي بوسـو[50] بـن الشـيخ مبـاكي بوسـو بـدلوه فـي وصـف محطـات هـذه المرحلـة مـن الرحلـة المباركـة، مـن غيـر أن يراعـي ترتيـب المراحل:

وبعـد ركـوب الفلـك حـل جزائـرا غريبـا طريـدا عـدها فـي القصـائد

"كنـــاكر داوم كـــرمبص بافـــل وكلـــوى ومـــا ينبـــا لبرولهـــا زد

فصـــار ينـــاجي ربـــه دائمـــا إذا تـــلا الكُتْـــب تتلـــوه كتائـــب راصـــد[51]

ثالثـا : صـور مـن المحـن والابـتلاءات التـي تعـرض لهـا الشيخ أحمد بامبا في المنفى

إن السـنين السـبعة التـي أمضـاها الشـيخ أحمـد الخـديم فـي المنفـى الغـابوني عـانى فيهـا العديـد مـن اضـطهادات ومحـن نفسـية وجسـدية واجههـا بصـبر المـؤمن وقلـب المتوكـل علـى الحـي الـذي لا يمـوت؛ فلقـد كـان معـتقلا خـلال السـنوات الخمـس الأولـى مـن غيبتـه البحريـة فـي جزيـرة

---

[49]– الشيخ موسى كاه، قصيدة مخطوطة.

[50]– ولد عام 1896م، وبايع الشـيخ أحمد بامبا عام 1920م، كما شـارك في البعثة المريدية للحج عام 1928م برفقة والده وشخصيات مريدية أخرى، توفي سنة 1983م. (انظر:
Dr. Abdoul Ahad Lo, op. cit, p.47.

[51]– ديوان الشـعراء السـنغاليين في مدح الشـيخ الخديم، الطبعة الأولى، طوبى، مطبعة ومكتبة الشـيخ الخديم ، 1405هـ/ 1985م، ص 15.

مايُمْبـا" تلـك الجزيـرة المظلمـة فـي مجاهـل أطـراف المعمـور فـي بحـر الظلمـات... **وهـو - رضـي الله عنـه - صِـفْرُ اليَـدَيْن إلا مـن الكُتُـب** فـي أشـد غربـة وفقـر مـدقع"[52] . ولـم يفـت شـعراءَ المريديـة الالتفـات إلـى تلـك المضـايقات العنيفـة التـي كانـت السـلطة الاسـتعمارية تمارسـها ضـد الشـيخ الخـديم. خـذ مـثلا الشـاعر الشـيخ أحمـد جـو بخـه[53] الـذي تفطـن إلـى الثمرات الروحية النابعة من رضى الشيخ بما قسم الله له:

إلـــى شـــيخ تغيـــب فـــي بحـــار لكـــي يرقـــى إلـــى أعلـــى المكـــان
وفيهـــا قـــد خـــلا بـــالله حينـــا نجيـــا فـــي رياضـــات التـــداني
ومـن تلـك الريـاض جنـى ثمـارا علـــى دوح الحقيقـــة والعيـــان

وهـذا الجـزء مـن قصـيدة الشـاعر يطلعنـا علـى أن المشـروع الاسـتعماري كـان متمـثلا فـي حرمـان الشـيخ مـن الحريـة بحـبس جسـده، وإحلالـه فـي بيئـة موحشـة ومنفـرة، دينـا، ولغـة، وطقسـا. غيـر أنهـم كـانوا عـاجزين عـن محاصـرة فكـره وعقيدتـه واتصـاله الروحـي بالخـالق. وذلـك

[52]– الشيخ محمد البشير مباكي، مرجع سابق، ص 177.

[53]– هو الشاعر الذي لقب نفسه بسلطان العارفين، ولد عام 1867م وبايع الشيخ قبيل إنشاء قرية دار السلام. (انظر :

. Abdoul Ahad Lo, op.cit.46

ما جعل لفترة الغيبة البحرية نكهة خاصة ظاهرها نقمة، وباطنها نعمة.

لنرجع إلى فنون المضايقات والفتن التي دبرتها اليد المستعمرة ضد العبد الخديم؛ فلقد صور طرفا منها الشاعر الموريتاني عبد الله السالم بن محمد بن حنبل الحسني[54]، حيث يقول[55]:

لـه خوارق عادات يضن بها	ليست كدرهامه الْمُعطى ودينارهْ
كم نال في الغيبة الغراء من عَجَب	يرد صاحبَ إنكار عنِ انكارهْ
نمل كمثل الرخال الجوف في عظم	يُلقى له المرءُ لم يهمُم بإضرارهْ[56]
بَكْر من البقر الأهلي طائرةٌ[57]	في الجو حتى توارت فوق أطيارهْ
نار تَأجَّجُ هل ينجي الطريح بها	إلا مُنَجَّي خليل الله من نارهْ

[54]– أحد العلماء والشعراء الشناقطة، ولد عام 1291هـ (1874)، وتوفي سنة 1353هـ (1934م).

[55]– ديوان شعراء أهل الزوايا الموريتانيين في مزايا الشيخ الخديم، الطبعة الأولى، طوبى، مطبعة ومكتبة الشيخ الخديم، 1396هـ، ص 191 وما بعدها.

[56]– قصة النمل أوردها الشيخ محمد الأمين جوب بقوله : "وذكر أنه طال مكثه في بعض المواضع حتى سئمت نفسه الموضع، وشكا. فبمجرد شكايته سلط الله عليه نملا كبارا كثيرا تؤذيه إذاية، فلما علمت أني دهيت من جهة نفسي "وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم "، نسخت شكايتي بالشكر، فقلت:

نسخت بالشكر شكاية فلا أشكو له ضرا فضري أفلا

فذهبت عني النمل (الشيخ محمد الأمين جوب، مرجع سابق، ص 140).

[57]– قصة البقرة ذكرها الشيخ محمد الأمين بهذه العبارات: "وذكر أنهم جعلوه في طريق ضيق، وأطلقوا عليه بقرة عادية، ... وهم واقفون ينظرون إلي، وظنوا أنها تكب علي، فلما دنت مني طارت كأن لها أجنحة، (المرجع السابق، ص 139).

وهـل يُنَجِّـي طـريحَ البحـر منـه سـوى مَــدْعُوٍّ ذي النـــون فـــي أحـــلاك تيـــاره

لـم يَبْـدُ للنـاس ممـا نـال ثَـمّ سـوى مقـــدار رشـــفة عصـــفور بمنقـــاره

لقـد ذكـر الشـاعر الموريتـاني عـددا مـن محـاولات التصـفية الجسـدية التـي تعـرض لهـا الشـيخ الخـديم؛ كقصـة البقـرة، وقصة تعريضه للنار، وإلقائه في البحر.

ويطلعنـا الشـاعر الشـيخ مـولاي علـي بوسـو[58] علـى أوجـه أخـرى مـن ألـوان التعـذيب التـي كانـت كفيلـة بالقضـاء علـى حياة الشيخ لولا أن تداركته نعمة من ربه:

وقـد لقـي الأعـداء فـي البحـر صـابرا علـــى فـــتن مـــن مُعْتَـــدٍ ومعانـــد

بـــدت لهُـــمُ منـــه خـــوارق جمـــة كمـا شـاهدوها فـي البحـور الشـواهد

خـوارق منهـا مـا ذكـرت عـن الرضـى ومنهـــا مصـــون لا يُبَـــثّ لواحـــد

أعـدوا لـــه ليثـــا ضـــرِيًّا لفتكـــــه فَـدَان لـه واصـطاد شـخصَ المكائـد

وألقـــوه فـــي بئـــر كقبـــر لِضـــيقها فصـارت لـه بيتـا أعِـدَّ لماجـــــد

أتـى بكـلاب مبتـغ محـوَ خطـــــه فحرَّقهـــا بالنـــار مـــسُّ الكواغـــد

58– هو الشيخ مولاي علي بوسو بن العلامة الحاج مباكي بوسو وأحد المريدين المقربين إلى الشيخ الخديم في أواخر حياته، ولد في مباكي بول عام 1896م، وتوفي عام 1983م. (انظر: الحاج مولاي علي بن سرين مباكي بوسو، بغية المصلين الخشعة في متعلقات صلاة الجمعة، اعتنى به شيخ أحمد بن محمد الفاضل بوسو، نسخة إلكترونية، غير مطبوعة).

ومـن أعظـم الأنبـاء أن العـدى معـا رأوا أهـل بـدر فـي خيـول خفـادد
فمـالوا لسـلم خـائفين مـن الـردى ومـن شـرهم طـرا نجـا والمكائـد
فـردوه للأوطـان رغـم أنـوفهم كمـا أخرجـوه مـن بيـوت مسـاجدِ
مـن البحـر لاح البـدر شـمس معـارف وبحـر علـوم نافعـات لراشـد[59]

يتضـمن هـذا المقطـع الشـعري جملـة مـن المعلومـات المرتبطـة بأوجـه ممـا تعـرض لـه الشـيخ مـن الابـتلاءات، ومنهـا : قصـة إغـراء أسـد جـائع عليـه ليفترسـه، وقصـة إلقائـه فـي بئـر ضـيقة للقضـاء عليـه، وتسـليط الكـلاب الضـارية عليـه وعلـى كتاباتـه، إلا أن الله صـدق وعـده، ونصـر عبـده، وأمـده بكرامـات وخـوارق "وكـان حقـا علينـا نصر المؤمنين"[60].

إن هـذه المشـاهد المصـورة شـعرا تؤكـد أن التصـفية الجسـدية للشـيخ الخـديم ظلـت مشـروعا اسـتعماريا مـاكرا افتضـحت مخططـات دسائسـه مـن سلسـلة الفـتن التـي كانـت الآلـة الاسـتعمارية تـدبرها بطريقـة سـافرة ومكشـوفة "ومكـروا ومكـر الله والله خيـر المـاكرين" ولمـا عجـزوا عـن تحقيق مبتغاهم، ردوه إلى وطنه سالما غانما:

---

[59]– ديوان الشعراء السنغاليين، مرجع سابق، ص 15 وما بعدها.
[60]– الروم، الآية: 47.

فردوه للأوطان رغـم أنوفهم كما أخرجوه من بيوت مساجد

رابعا: العودة إلى أرض الوطن

بعـد سـبع سـنين وبضـعة أشـهر قضـاها الشـيخ أحمـد بامبـا بـين يـدي أعدائـه فـي جزائـر الغـابون، قـررت السـلطات الاسـتعمارية إعادتـه إلـى أرض الـوطن، وكـان وصـوله إلـى داكـار - حسـب الشـيخ محمـد الأمـين جـوب - يـوم السـبت السـادس مـن شـعبان 1320هـ[61]، الموافـق للثـامن مـن نـوفمبر 1902م. بينمـا ذكـر الشـيخ محمـد البشـير أن تـاريخ عودتـه هـو يـوم السـبت العشـرون مـن شـعبان عـام 1320هـ[62]، الموافـق للثـاني والعشـرين مـن نـوفمبر عـام 1902م. ولا تبـدو الدقـة فـي التـاريخين المـذكورين؛ لأن الثابـت فـي وثـائق الإدارة الاسـتعمارية أن تلـك العـودة صـادفت يـوم الثلاثـاء 11 نوفمبر 1902م،[63] أي التاسع من شعبان 1320هـ.

---

[61]– الشيخ محمد الأمين جوب، مرجع سابق، ص 153.

[62]– انظر: الشيخ محمد البشير مباكي، مرجع سابق، ص 83.

[63] – Cf. Journal officiel du Sénégal et Dépendances, Numéro 98 du samedi 15 novembre 1902.

وفي هذه الجريدة الرسمية قائمة بأسماء المسافرين الذين وصلوا إلى داكار بتاريخ 11 نوفمبر 1902م، عبر باخرة " لافيل ده ماسِيو La ville de Maceïo"، وقد احتل اسم الشيخ احمد بامبا الرتبة الخامسة في قائمة أولئك المسافرين القادمين.

وفي كل الأحوال، كان لهذه العودة المظفرة وقع نفسي عميق لدى عامة المسلمين والمريدين في السنغال حيث "... **غَصَّ المِصْرُ** (داكار) بالمريدين ووفود القبائل لتلقيه والابتهاج به، وتحركت السنغال من أقصاها **إلى** أقصاها من السرور والفرح به، فنزل مكرما..."[64].

وما كان لمثل هذا الحدث التاريخي الخالد أن لا يكون له صداه المدوي في شعر أحباب الشيخ الخديم ومريديه.

فالشيخ سعد أبيه أحد زعماء القادرية في الغرب الأفريقي لما بلغه نبأ قدوم الشيخ من الغيبة المباركة، كتب قصيدة رائعة لتهنئة الإسلام والمسلمين بهذه البشرى العظيمة:

معادنه أجلته منها النصارى ... فأصبح في تلك البحور نُضارا

ومن صَدَف البحر المحيط بدا، فمِن ... تلألئه فيه العيونُ حيارى

فعَجْبا لكيميا امتحان غدا بها ... نُضارَ الورى ياقوتةً لا تُبارى

وبدر منير غاب في الغرب ثم لا ... حَ مِ الّغربِ [65] شمسا رفعة واستنارا

فيا عجَبًا باب المتاب مفتح ... لكل مريد رام منه جِوارا

هنيئا لذا الدين الغريب الذي غدا ... يتيه سرورا منكمُ وافتخارا [66]

---

[64]– منن الباقي القديم، ص 84.

[65]– أصلها من الغرب، إلا أنه حذف نون "من" للضرورة الشعرية.

[66] – الشيخ محمد الأمين جوب، مرجع سابق، ص 225 وما بعدها.

وفي السياق ذاته صاغ الشيخ مختار بنت لوح قصيدة هنأ فيها شيخه بهذا القدوم المبارك، ومطلعها:

شمس فضل أفلاك مجد تدور فنهار الهدى بها مستنير[67]

الخاتمة

تشكل حياة الشيخ أحمد بامبا وفكره الإصلاحي مجالا خصبا من مجالات البحث العلمي الجاد في حياة الشخصيات المؤثرة في مجريات الحياة الإسلامية بغرب القارة الأفريقية؛ ذلك أن الشيخ أحمد بامبا يُعد مرجعية في الصمود والثبات على المبادئ والتصدي للغزو الفكري والعسكري الذي فرضه الاستعمار الغربي على الشعوب المستضعفة، بل كان قدوة في نشر العلوم والمعارف وثمرات التربية الروحية والتزكية الأخلاقية بكل الوسائل المتاحة.

[67]– هيئة إحياء تراث الشيخ مختار بنت لوح، مرجع سابق، ص 206. والمؤسف أن هذا البيت هو الوحيد الباقي مما حفظ من هذه القصيدة.

وقد ضحى بالنفس والنفيس من أجل مقاومة إيديولوجية "التغريب" التي كان يحمل لواءها رجال الاحتلال الفرنسي، وهو القائل:

إني أجاهد بالعلوم وبالتقى عبدا خديما والمهيمن شاهد [68]

الشيء الذي عرَّضه لفنون التغريب وصنوف الاضطهاد من قبل المستعمر لمدة اثنتين وثلاثين سنة امتدت من عام 1895م إلى سنة وفاته 1927م. وعلى هذا فإن النصوص الشعرية التي استعرضنا مقتطفات منها، بالإضافة إلى قيمها الأدبية، تُشكل وثيقة تاريخية تصور بقدر من الدقة والأمانة أهم معالم الغيبة البحرية للشيخ أحمد بامبا مباكي، من مبتدئها إلى منتهاها. ومما يعزز الطمأنينة والثقة بالمشاهد المصورة شعرا من الرحلة المباركة، أنها تتطابق في محتوياتها وتفاصيلها مع ما تقرر في المصادر النثرية التي عُنيت بتوثيق أحداث سيرة الشيخ أحمد بامبا. ولا يشك عاقل في أن هذه النصوص الشعرية تكتسي أهمية خاصة في البحث العلمي؛ لكونها صادرة ممن عاصروا الشيخ الخديم،

[68]- أحمد بامبا مباكي، ديوان الفلك المشحون من السر والذكر المصون، الطبعة الأولى، طوبي، مطبعة ومكتبة الشيخ الخديم، 1397 هـ، ص 507 وما بعدها.

وعايشوا أحداث حياته بمدها وجزرها. ومُحصلة ذلك كله أن يعي الباحثون أن عليهم رد الاعتبار إلى النصوص الشعرية الأصيلة التي أبدعها - بالعربية أو بغيرها - جيل التأسيس من مريدي الشيخ وأحبابه، وذلك في كل مشروع فكري ينشدون إنجازه؛ لأن تلك النصوص في نهاية المطاف جزء لا يتجزأ من المصادر العلمية لكل باحث في حياة المريدية ومؤسساتها. وفي ذلك فليتنافس المتنافسون...

قائمة المراجع

أولا : مراجع بالعربية

1. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، الطبعة الثالثة، بيروت، دار صادر، 1414ه؛
2. بوسو، الحاج مولاي علي بن سرين مباكي بوسو، بغية المصلين الخشعة في متعلقات صلاة الجمعة، اعتنى به شيخ أحمد بن محمد الفاضل بوسو، نسخة إلكترونية، غير مطبوعة؛
3. جوب، الشيخ محمد الأمين، إرواء النديم من عذب حب الخديم، دراسة وتحقيق الرابطة الخديمية للدارسين والباحثين؛

4. ديوان الشعراء السنغاليين في مدح الشيخ الخديم، الطبعة الأولى، طوبى، مطبعة ومكتبة الشيخ الخديم ،1405هـ-1985م؛

5. ديوان الشيخ إبراهيم جوب المشعري، تحقيق عبد القادر مباكي شيخ ميمونة وأبو مدين شعيب تياو، الطبعة الأولى، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، 1438هـ- 2017م؛

6. ديوان شعراء أهل الزوايا الموريتانيين في مزايا الشيخ الخديم، الطبعة الأولى، مطبعة ومكتبة الشيخ الخديم، طوبى، 1396هـ؛

7. الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، الطبعة الثانية، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، 1407هـ - 1987م؛

8. الشيخ مختار بنت لوح: حياته وتراثه العلمي، هيئة إحياء تراث الشيخ مختار بنت لوح، الطبعة الأولى، الرباط، دار المعارف الجديدة، 1442هـ-2021م؛

الطبعة الأولى، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، 1439-2017م؛

9. مباكي، الشيخ أحمد بامبا، جزاء الشكور العطوف في جواب عبد اللطيف، دراسة وتحقيق محمد المرتضى بوسو ومام مور مباكي، حمدي، الطبعة الأولى، بيروت دار الأمان للطبع والنشر، 1444ه- 2022م؛

10. مباكي، الشيخ أحمد بامبا، ديوان الفلك المشحون من السر والذكر المصون، الطبعة الأولى، طوبي، مطبعة ومكتبة الشيخ الخديم، 1397 هـ؛

11. مباكي، الشيخ محمد البشير مباكي بن الشيخ إبراهيم فاط، الشيخ إبراهيم فاط في أيامه الخالدة، دراسة وتحقيق أحمد مباكي مرتضى شيخ فاط فال، وعبد القدوس مباكي بشير أنت، الطبعة الثالثة، مطبعة المعارف الجديدة، 1443هـ- 2022م؛

12. مباكي، الشيخ محمد البشير، منن الباقي في سيرة الشيخ الخديم، تحقيق الدكتور محمد شقرون، الطبعة الأولى بعد التحقيق، الرباط، مطبعة دار المعارف الجديدة، 2012م؛

ثانيا : مراجع بالفرنسية

1- Journal officiel du Sénégal et Dépendances, Numéro 98 du samedi 15 novembre 1902.

2- Lo, Abdoul Ahad, La poésie arabe de la première génération des disciples de Cheikh Ahmadou Bamba Mbacké, étude descriptive et analytique, 1ère Ed, Dakar, L'harmattan Sénégal, 2021.

3- Marty, Paul, Etudes sur l'Islam au Sénégal, Paris, Ernest Leroux Éditeur ;

ثالثا : مراجع إلكترونية: www.Wikipédia.fr